الفصل الحادى عشر

عباس الثانى خديو مصر الأخير فى المنفى

١٩١٤- ١٩٤٤

نتيجة لاصطدام الخديوى عباس الثانى بالانجليز خلال فترة حكمه وعدم وقوفه بجانب سياستهم فى الكثير من الحالات فكر الانجليز أكثر من مرة فى التخلص منه، وقد واتتهم الفرصة أثناء تواجده بالآستانة واطلاق النار عليه هناك، ثم قيام الحرب العالمية الأولى فحالوا بينه وبين العودة إلى مصر، وقاموا بعزله[1]، وفرض الحراسة على أملاكه باعتباره من إعداء بريطانيا وأعلان الحماية على مصر فى ١٨ ديسمبر ١٩١٤ ونقل السلطة إلى السلطان حسين كامل فى ١٩ ديسمبر من نفس العام ثم إلى الأمير احمد فؤاد فى ١٧ اكتوبر ١٩١٧ والذى أصبح ملكا بمقتضى تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢.

وقد نظر معظم المصريين إلى الخديو المخلوع على أنه صاحب الشرعية الحقيقية، وأنه كان ضحية لتعسف الانجليز وغضبهم عليه مما وفر له قدرا من الشعبية، وجعل البعض يعتقد أن عباس الثانى سيعود إلى حكم البلاد ان عاجلا أو آجلا، وهذا ما ردده الناس فى هتافاتهم فى القاهرة والأقاليم وفى أمثالهم وأهازيجهم الشعبية "الله حى عباس جى يضرب البمبه فى رأس العمدة وهو جاى" والمقصود بالعمدة هنا المعتمد البريطانى اللورد كتشنر الذى كان يحكم مصر.

ولما تزايدت مطالب المصريين بعودة عباس الثانى إلى الحكم واستمرت المظاهرات فى أوائل الحرب تأييدا له ، وسرت بين الشعب موجة من الحنق والحقد على السلطان "حسين كامل" الذى قبل العرش منحة من الانجليز، واعتبرته الأمة خائنا لبلاده، وخارجا على الاجماع الوطنى لاستسلامه للمحتلين استسلاما معيبا، كما ظل المصريون يعاملون الخديوى المخلوع على أنه صاحب الشرعية مما جعل سلطات الاحتلال تسارع بتحريم ذكر اسمه.

ومع ذلك لم يهدأ المصريون الذين أحبوا هذا الخديو واتجهوا إلى ذكر اسم "عباس" دون الوقوع تحت طائلة القانون فقام الموسيقار "سيد درويش" بتأليف وتلحين أغنية تبدأ أبياتها من حروف تكوّن اسم عباس حلمى إذ يقول فيها:

عواطفك دى أشهر من نار

بس اشمعنى جافيتنى يا قلبك

انت اللطف وليه احتـــــار

---

(١)تردد فى تلك الأونة ان الانجليز عرضوا على عباس ان يتنازل عن العرش لولى عهده الأمير محمد عبد المنعم ولكنه رفض.

سيد الكل أنا طوع أمـــــرك

حالى صبح لم يرض حبيـــب

لوم الناس زودنى لهيـــــب

ما قلت أن الوصول قريـــب

يا مليكى والأمـــر لربـــك

كما ردد الأهالى الأغانى للمطالبة بعودة عباس إلى حكم مصر ولم يـأبهوا بعقـاب السلطة الانجليزية ومنها :

يا أمة الاسلام ليش حزينة

إن كان على عباس بكره يجينا

ويدق طبل الفرح فى أراضينا

وإلى جانب ذلك فقد عبر الأديب العالمى "نجيب محفوظ" فى روايته "بين القـصرين" عن رغبة المصريين فى عودة عباس عندما قالت أمينة لزوجها "ربنا يعيد لنا أفندينا عبـاس" وفى قول الشيخ "متولى عبد الصمد" أسال الله المنان ان يعيد إلينا أفندينا عباس مؤيدا بجـيش من جيوش الخليفة لا يعرف له أول من آخر بقيادة محمد فريد.

وكانت الأبناء قد ترددت وقتها حول اقتراب الجيش العثمانى بقيادة محمد فريد لاخراج الانجليز وطردهم من مصر بواسطة عساكر السلطان وعودة الخديوى المخلوع إلى عرشه كما تكونت لجنة سرية خاصة برئاسة "عبد اللطيف الصوفانى" أحد أعضاء الحزب الوطنى لرفـع نداء "الله حى عباس جى" الذى يردده الصغار والكبار معا. وتمنى المصريون انتصار تركيـا على الانجليز، وتمسك معظمهم بالولاء للخلافة.

ومنذ ذلك الوقت أخذ عباس الثانى يخطط للعودة إلى العرش استنادا إلى الشعبية التى كان يتمتع بها داخل البلاد، وإلى علاقاته الطيبة مع بعض رجالات الحزب الوطنى وبعـض الجهات والأفراد الذى كان يمدهم بالمال لإحداث هزات فى مصر تجبر بريطانيا على إعادته إلى الحكم وإلى جانب ذلك فقد اعتمد على بعض رجالات الحكم فى تركيا والمانيا فى عودته إلى عرشه كل ذلك جعل كل من جلس على عرش مصر بعده يرتاب فـى الأمـر، وجعـل الصراعات الخفية بين أنصار الخديو المعزول وبينه تبرز إلى الوجود، فبذل الملك فؤاد كافـة الجهود لتثبيت أركان حكمه وحكم أسرته وإقامة ملكية مطلقة وكان ساعده الأيمن فـى ذلـك "حسن نشأت" رجل القصر الأول ، أما عباس فقد تمنى نجاح الحملة التركية الألمانية فى طرد الانجليز من مصر وإعادته إلى عرشه ، لذلك بدأ حملة سياسية واسعة النطـاق فـى أوربـا

خاصة المانيا ضد فؤاد ومدى أحقية ذلك الفرع من أبناء إسماعيل فى الحكم[١] وإلى جانب ذلك فقد عمل على استقصاء لاخبار مصر وما يجرى فيها، كما كان حريصا على مقابلة كبار المصريين الذين يزورون أوربا لكى يعرف منهم حقيقة الحال وكان يدفع لبعضهم مرتبات شخصية لكى يوافوه بالأخبار.[٢]

وظل عباس يسعى للعودة إلى العرش بأى ثمن مما أفزع الملك فؤاد خاصة بعد أن عرف أن حجم اتصالات الخديو السابق تدل على خطورته التى يجب أن يحسب لها كل حساب وان عباس لم يجد طريقا يقربه من العودة إلى عرشه إلا وسلكه واستمرت الأمور على ذلك حتى تم عقد معاهدة لوزان التى تنازلت تركيا بمقتضاها عن حقوقها التاريخية فى مصر ممـ ل دعاوى عباس من شرعية العودة إليها خاصة وأن تركيا لم تعد السند الذى يكفل له العودة إلى عرشه.

ولمساندة السلطان فؤاد فى موقفه ضد الخديو المخلوع انتحلت الحكومة البريطانية لنفسها حق التدخل فى نظام وراثة العرش لتثبيت سلطته فأبلغته قرارها بالاعتراف بالأمير فاروق ونسله من الذكور كأولياء عهد للسلطة المصرية[٣]، وإلى جانب ذلك فقد صدر فى ١٧ يوليو ١٩٢٢ القانون رقم ٢٨ الخاص بإقرار تصفية أملاك الخديو عباس الثانى وتضييق ماله من حقوق محافظة على النظام الموضوع لتوارث العرش وحرمانه من دخول الأراضى المصرية أو أن يباشر فيها بنفسه أو بواسطة غيره أى حق من الحقوق السياسية وان تصادر أمواله وتؤول إلى خزانة الحكومة.[٤] وأن يمنع من السكن أو الاقامة فى الأراضى المصرية.[٥]

ونتيجة لذلك انتهز الملك فؤاد فرصة وجود قضايا مرفوعة من الأميرة "اقبال هانم" ضد الخديو عباس الثانى والحكم لها ومعارضة الخديو للحكم وقبول محكمة الاستئناف لهذه المعارضة فاصدر مرسوما بانه لا يجوز للخديو السابق ان يتقاضى باسمه امام المحاكم بأى صورة من الصور .[٦]

ونظرا لتضييق الأمور على الخديو المخلوع فقد سعى لاسترضاء الانجليز لمساعدته فى العودة إلى عرشه فى نظير ان يقوم بتنفيذ كل ما يريده الانجليز، ويعمل فى السير على سياستهم ولما لم تستجب حكومة لندن لمحاولاته ونتيجة لاصدار "اللورد اللنبى" المندوب السامى البريطانى فى القاهرة بلاغا أعلن فيه أن عباس الثانى مبعد عن القطر المصرى، وانه

---

(١)للتفاصيل انظر محمد انيس صفحات مجهولة من التاريخ المصرى والجدير بالذكر أن المصريين انزعجوا أشد الانزعاج من وجود حاكم على عرش مصر تعينه سلطات الحماية البريطانية نظرا لأن شرعية حكم البلاد كانت تستمد من الفرمانات السلطانية.

(٢)آخر ساعة المصورة فى ٢٨ أكتوبر ١٩٤٥.

(٣)الرافعى : فى اعقاب الثورة ، جـ١، ص ٦٢.

(٤)المجموعة الدائمة للقوانين والقرارات المصرية، قانون رقم ٢٨ بتاريخ ١٧ يوليو ١٩٢٢ بإقرار تصفية أملاك الخديو السابق عباس حلمى ، وتضييق ما له من الـ

(٥)مذكرة تفسيرية عن القانون رقم ٢٨ الخاص بإقرار تصفية أملاك الخديو السابق عباس حلمى باشا وتضييق ما له من الحقوق

(٦)مضابط مجلس النواب . مضبطة الجلسة التاسعة والعشرين فى ١٤ فبراير ١٩٢٧.

وذريته قد حرموا نهائيا من كل حقوق الوراثة ولن أملاكه تم التحفظ عليها باعتبارهـا مـن أملاك الأعداء انقلب عباس على الانجليز وشرع مع حاشيته فى تكوين جمعية للتحريض على الثورة ضدهم مما على السلطات البريطانية تضعه تحت الرقابة المستمرة فى قصره باستنبول وتضييق الخناق عليه وهذا ما جعله يترك قصره ويخرج إلى أوربا بجواز سفر الباني ومـع ذلك ظلت المخابرات البريطانية تراقبه وتتبعه وقد استقر الأمر بعباس الثانى فى ايطاليا وأخذ فى الاتصال برجالات الحرب الوطنى من هناك مما جعل السلطات البريطانيـة توجـه إليـه ضربة قاصمة حيث أصدرت الحكومة المصرية فى ١٩ يوليو ١٩٢٢ قانونا يقضى بإقرار ما قامت به السلطة العسكرية البريطانية أثناء الحرب من تصفية أملاك عباس الثـانى الخـديو المخلوع والذى جاء فى مادته الأولى بأنه "لا تقبل ولن تقبل أمام أية هيئة قضائية فى الـديار المصرية أى دعوى رفعت ولم يحكم فيها أو ترفع فيما بعد من عبـاس حلمـى باشـا أو أى شخص آخر ويكون الغرض منها بالذات أو بالواسطة إبطال اى تـصرف مـن التـصرفات المذكورة أو الرجوع فيه او تعديله ، ويجب على المحكمة حتما وبحكم القانون رفض مثل هذه الدعوى أيا كانت الحالة التى هى عليها".

كما حظرت المادة الثانية ان يهبط الخديوى السابق بالاراضى المصرية، وإذا فعل ذلك تعيده السلطة التنفيذية إلى الحدود فورا ، ولا يجوز له أن يباشر فى مصر بنفسه أو بواسـطة غيره أى حق من الحقوق السياسية أو أن تكون له يد على مال ثابت او منقول او ان يمتلـك مثل ذلك المال بعقد من عقود المفاوضة أو التبرع كما لا يجوز ان يكون له استحقاق فى اى وقف

كل ذلك وضع حدا نهائيا لتطلعات عباس الثانى فى العودة إلى مصر، وجعله يستشيط غضبا من الانجليز فهاجم سياستهم وطالب المصريين بمقاطعة البضائع الانجليزية والاعتراف بحق المصريين فى العيش بحرية دون قيود، وطالب الأحزاب الوطنية ان تنسى خـصوماتها وتتمسك بالكفاح وإلى جانب ذلك فقد فكر فى القيام بمغامرة جريئة وهى التنكر باسم شـخص آخر والابحار باتجاه المياه المصرية، والوصول إلى الاسكندرية على احدى البواخر، ولكنـه تراجع عن موقفه بعد ان كشفت احدى الصحف الأمر، ولما صعب على الخديو امر العـودة إلى عرش مصر أخذ فى البحث عن عرش اخر خال ليعين فيه ، فحاول ان يعينه الفرنسيون ملكا على سوريا أو فلسطين وثابر على ذلك المجهود واستمر يسعى إلى دور سياسى يمكنـه من الوصول للعرش حتى عام ١٩٤١ خاصة وأن هناك أشخاصا حصلوا منه علـى امـوال عديدة مثل "شكيب ارسلان" لمساعدته فى هذا الغرض مستغلين فى ذلك حبه للسلطة فمـلأوا خياله بتقارير وهمية.(١)

---

(١) Thomas Mayer: Abbas Hilmi II As Reflected in some of his papers , P 280- 284.

ونتيجة لما سببه تواجد عباس الثانى فى ايطاليا من مشاكل مع الانجليز، فقد انتهزت الحكومة الايطالية أول فرصة لاخراجه من البلاد، وأخذت تتلمس الذرائع لتنفيذ ذلك، ولما شعر الخديو بالأمر انتقل إلى سويسرا وبدأ يزاول نشاطه من هناك حيث اتصل بأعضاء الحزب الوطنى المشاركين فى مؤتمر الشرق الذى كان منعقدا بلوزان على أمل بحث شئون الولايات العثمانية القديمة بما فيها مصر والشام ولكن قرارات هذا المؤتمر لم تكن فى صالحه حيث وقفت بجانب المطالب البريطانية مما خيب أماله .

ونتيجة لذلك توارت أخبار الخديو المعزول خاصة بعد أن تخلى رجالات الحزب الوطنى عن سياسة الموالاه لتركيا وعن اعتبار الخديو عباس الحاكم الشرعى للبلاد، واعلان معظم هؤلاء الولاء للملك فؤاد، كل ذلك جعل الخديو المعزول يرفع الراية البيضاء فسعى إلى وضع حد لاسترداد حقوقه التى كانت موضع نزاع بينه وبين الملك فؤاد فأوفد إلى مصر فى يناير ١٩٣١ مندوبا عنه لمفاتحه "صدقى باشا" رئيس مجلس الوزراء وقتذاك معلنا رغبته فى التنازل ، والاعتراف بالملك فؤاد ملكا شرعيا فى سبيل استرداد أمواله ولما عرض صدقى على الملك الفكرة ابتهج بها وأقرها ثم جرت المفاوضة على شروط التنازل[1]، وقد وقعت وثيقة التنازل فى ١٢ مايو ١٩٣١ وفيها تنازل الخديوى السابق عن كل دعوى على عرش مصر وأعلن اتباعه لدستور المملكة المصرية واحترامه لنظام توارث عرش المملكة المصرية

ومراعاة لما أبداه الخديوى المخلوع صدر مرسوم بقانون رقم ٨١ بالترخيص للحكومة بمنح سموه مرتبا سنويا يتفق مع ماضيه ومع مكانته من الأسرة المالكة، لذلك تقرر منحه مدى حياته مرتبا سنويا قدره ثلاثون الف جنيه ابتداء من يناير ١٩٣١ ويكون هذا المرتب شخصيا لا يجرى فيه التوارث ولا يجوز التنازل عنه أو الحجز عليه.[2]

وفيما يلى نص وثيقة التنازل التى وقعها الخديو: "أنى موقن بأنى خدمت بلادى بأمانة واخلاص وأنى كرست لها مدى ثلاث وعشرين سنة بالرغم من دقة الظروف، كل قواى وخير أيام حياتى وأنى اتمنى من صميم قلبى سعادة مصر ورخاءها وقد تتبعت عن كثب ما أحرزته البلاد وما تزال تحرزه من أسباب التقدم فى جميع النواحى، وأنى مغتبط بما اراه من خطاها الثانية فى توثيق سبيل استقلالها والتوفيق بين نظامها السياسى وبين حاجاتها وأمانيها ورغبة منى فى تحديد موقفى حيال نظام مصر السياسى وتأكيد إخلاصى نحو ذات ملكها المعظم فأنى أعلن اتباعى للدستور المقرر بالأمر الملكى رقم ٧٠ لسنة ١٩٣٠، وأصرح بأنى سأتوخى فى جميع الظروف خطة مطابقة للنظام المقرر لقوانين البلاد، وعلى وجه الخصوص أعلن احترامى للأمر الملكى الصادر فى ١٣ ابريل ١٩٢٢ بوضع نظام لتوارث عرش المملكة

---

(١) الرافعى : فى أعقاب الثورة ، جـ٢، ص ١٧٤.

(٢) المجموعة الدائمة لـ القوانين والقرارات المصرية مرسوم بقانون رقم ٨١ فى ٢١ مايو ١٩٣١ بالترخيص للحكومة المصرية بمنح سمو الخديو السابق مرتبا سنويا.

المصرية، والقانون نمرة ٢٨ سنة ١٩٢٢ الخاص بإقرار تصفية املاكى وهما جزءان لا يتجزءان من الدستور المصرى ولقانون التضمنيات نمره ٢٥ لسنة ١٩٢٣ وأعلن اتباعى لها جميعا.

ولما كنت أقر لحضرة صاحب الجلالة الملك فؤاد ابن اسماعيل بأنه ملك مصر الشرعى، فأنى اعلن بهذا تنازلى عن كل دعوى على عرش مصر ، كما أعلن تنازلى عن كل مطالبة ناشئة عن أنى كنت خديويا لمصر أيا كان وجهها سواء عن الماضى أو المستقبل مع تأكيد ولائى المطلق الدائم لجلالة الملك فؤاد اعرب لجلالته والأمير فاروق ولى عهد المملكة بعين عنايته ، وليزيد فى اسعاد مصر فى حاضرها ومستقبلها.

ومع ذلك فعندما قامت الحرب العالمية الثانية نكث عباس عن اتفاقه وقام بابراز تأييده للألمان بهدف اعادته إلى عرشه فالكتاب الانجليز يتحدثون عن الخديو عباس الثانى كمؤيد للألمان فيقول "كيرك" أنه كان على فاروق ان يدرك أن دعاوى عباس فى العرش المصرى ربما وجدت تأييدا فى حالة انتصار المحور " كما تحدثوا عن ورود رسالة من "أغا خان" كان قد طلب إرسالها للفوهرر عثر عليها بين وثائق الخارجية الالمانية وهى تظهر ولاء وولاء الخديو عباس لألمانيا وعطفهما على المحور. [١]

وعلى أى حال فقد توفى عباس فى الحادية والسبعين من عمره، بعد أن مكث احدى وثلاثين سنة فى الخارج[٢] شهد فيها حربين عالميتين وقد كان قبل نشوب الحرب الأخيرة يقيم فى يخته " نعمة الله" تارة فى شواطئ فرنسا، وتارة فى شواطئ ايطاليا وأخرى فى أسبانيا أو تونس ومراكش حاملا معه كفنه ، وهذا الكفن عبارة عن "حرام من الكتان وكان يقول أننى انتقل مع الشمس لأنها حياة الوجود فحيثما كانت الشمس أذهب إليها. وقد قضى الخديو سنواته الأخيرة فى كتابة مذكراته عن حياته فى مصر والخارج وعن الحوادث التى شهدها والرجال الذين عرفهم وقد كتبت هذه المذكرات بالفرنسية، ونشرتها بالعربية جريدة المصرى فى عام ١٩٥١ ثم أصدرتها بعد ذلك دار الشروق.

---

(١) انظر جورج كيرك: موجز تاريخ الشرق الأوسط ص ٣٤.
(٢) خرج الخديو من مصر سنة ١٩١٤ وهو فى سن الأربعين .